

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين؛ اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله جلَّ وعلا امتنَّ على عباده بمنَّةٍ عظيمة ونعمة كبرى جسيمة ألا وهي أنه سبحانه أنزل عليهم كتابه الكريم وذكره الحكيم شفاءً لما في الصدور وصلاً للعباد وعزاً لهم في الدنيا والآخرة ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* ويعظم الشأن ويعلو المقام عندما تكون الآية من القرآن آية عظمى فضلت على أي القرآن وميّزت عليه لفخامة شأنها وعظم مكانتها وعظم ما دلت عليه من التوحيد والإخلاص والبراءة من الشرك والتنديد؛ كما هو شأن آية الكرسي تلك الآية العظيمة الجليلة التي فحَّم النبي عليه الصلاة والسلام أمرها وأعلى مقامها ورفع قدرها وبيَّن أنها أعظم أي القرآن شأنًا وأعلاه مكانة، ففي صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه وهو من قرأ الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري وقال: واللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»^(١)، أي هنيئاً لك هذا العلم العظيم الذي ساقه الله إليك ومنَّ عليك به.

وتأمل - رعاك الله - كمال فقه الصحابة وحسن فهمهم رضي الله عنهم؛ فهاهو أبي رضي الله عنه يأتي بهذا الجواب المسدد في وقفة أمام رسول الله ﷺ

ويختار هذه الآية من بين ما يزيد على ستة آلاف آية وفي لحظات يسيرة جداً.

وإن في هذا لدلالة واضحة وأمانة بيّنة على مكانة التوحيد في قلوب الصحابة؛ فإن النبي ﷺ لما سأل أياً عن أعظم آية في كتاب الله اختار ﷺ آية التوحيد التي أخلصت لبيانه وتقريره وبيان حججه وبراهينه، ولذا كما بيّن أهل العلم فإن آية الكرسي اجتمع فيها من تقرير التوحيد وبيانه وذكر دلائله وحججه وبراهينه ما لم يأت في آية أخرى بل جاء متفرقاً في آيات عديدة؛ فأية الكرسي لعظم شأنها وعلو مقامها جمعت من تقرير التوحيد وبيان براهينه ما لم يأت في آية أخرى من كتاب الله عز وجل.

* ولعظم مقام هذه الآية وعلو شأنها جاء عن النبي ﷺ في أحاديث عديدة الترغيب في قراءتها مرّات وكُرّات في اليوم واللييلة، بل جاء عنه ﷺ ما يدلُّ على استحباب قراءتها في اليوم واللييلة ثماني مرات: مرتين في الصباح والمساء، ومرة عند النوم، وخمس مرات أذبار الصلوات المكتوبة.

* أما قراءتها أذبار الصلوات فيدل عليه ما ثبت في سنن النسائي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(٢).

* وأما قراءتها عند النوم ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة ما يدل على أن «من قرأها إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»^(٣).

* وأما قراءتها في أذكار الصباح والمساء فيدل عليه ما ثبت في «سنن النسائي» و«معجم الطبراني الكبير» من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وفيه أن «من قرأها إذا أصبح أجبر من الشياطين حتى يمسي وإذا قرأها إذا أمسى أجبر من الشياطين حتى يصبح»^(٤).

وها هنا أمر عظيم لا بد من التنبيه عليه والتذكير به ألا وهو: أن انتفاع

(٢): «عمل اليوم واللييلة» رقم: (١٠٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم: (٦٤٦)

(٣): «صحيح البخاري» رقم: (٢٣١١)

(٤): «سنن النسائي» و«معجم الطبراني الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ٤١٨

العبد بهذه الآية المباركة لا بد فيه من تدبر معانيها وعقل دالاتها؛ لا أن يكون حظُّ العبد منها مجرد القراءة للحروف دون عقل المعاني والتبصّر في الدلالات، ولهذا قال الله تبارك وتعالى في عموم القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، هذا في عموم القرآن فكيف بأعظم أي القرآن شأنًا وأرفعها مكانة!!

ولهذا لا يليق بالمسلم أن يكون حظُّه من هذه الآية المباركة الكريمة مجرد القراءة والتلاوة دون عقل المعاني وتدبر الدلالات ودون تحقيق المقاصد والغايات.

إنَّ هذه الآية العظيمة المباركة دلّت على أعظم المعاني وأجلّها وعلى أشرف المقاصد وأعظمها، ألا وهو توحيد الله ووجوب إخلاص الدين له وإفراده وحده جلَّ وعلا بالعبادة، فصُدّرت بكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلا الله» التي هي أعظم الكلمات وأجلّها على الإطلاق، وهي كلمة تدل على وجوب إفراد الله وحده بالعبادة والبراءة من الشرك كلّ دقيقه وجليله، فهي كلمة التوحيد؛ فلا توحيد إلا بتحقيقها.

وفيها أن التوحيد لا يقوم إلا على ركنين لا بد منهما، وأصلين لا بد من تحقيقهما: النفي والإثبات؛ نفي العبادة عن كلّ من سوى الله، وإثبات العبادة بكلِّ معانيها لله وحده خضوعاً وتذللاً، رغباً وطمعاً، سجوداً وركوعاً، توكلاً واعتماداً، دعاءً ورجاءً، إلى غير ذلك من أنواع العبادة وصنوف الطاعة؛ فكلُّ ذلك حق لله ليس لأحد فيه شركة.

وقد أقيمت في هذه الآية المباركة الحجج البيّنات والدلالات الظاهرات على وجوب التوحيد وإخلاص العبادة لله، وقد ذُكر فيها من الحجج ما يزيد على العشرة حجج فتأملها رعاك الله:

* فمن هذه الحجج : قوله جلّ وعلا: ﴿ أَلَيْسَ الْقَبِيرُ ﴾؛ نعم إن الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ الحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء ولا يعترها نقص، ومن كان هذا شأنه فهو المستحق لأن يُفرد بالعبادة أما الحي الذي يموت أو الحي الذي قد مات أو الجمد الذي لا حياة له فكل هؤلاء ليس لهم في العبادة أي حق.

* ووصف نفسه جلّ وعلا في الآية بأنه: ﴿ قَيُّومٌ ﴾ أي: قائم بنفسه مقيم لشؤون خلقه وهذا دال على كمال غناه وعلى شدة افتقار العباد إليه من كل وجه، ومن كان هذا شأنه فهو الذي يستحق العبادة دون سواه.

* ووصف نفسه جلّ وعلا بأنه: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وهذا لكمال حياته وكمال قيوّميته وكمال قدرته وقوته سبحانه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»^(٥).

* ووصف نفسه جلّ وعلا في الآية بأن: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾، فله جلّ وعلا ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً لا شريك له في شيء من ذلك، ومن كان كذلك فهو الذي يستحق أن يُعبد دون سواه، ولهذا قال في آية أخرى مبيناً بطلان الشرك والتنديد: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾^(٦) [سبا].

* وذكر في الآية جلّ وعلا كمال سلطانه بقوله جلّ وعلا: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾، فالشفاعة ملك لله فلا تطلب إلا من الله جلّ وعلا قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ ﴾ [الزمر: ٤٤]

* وبين سبحانه عظمته وجلاله وكماله وإحاطة علمه بقوله سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، وفي هذا: إحاطة علم الله جلّ وعلا بالأمور الماضية وبالأمور المستقبلات؛ فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علماً

وأحصى كل شيء عدداً، وكيف لا يحيط علماً بالمخلوقات وهو خالقها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

* وذكر جلّ وعلا قصور علم العباد وضعفه وأنه لا علم عندهم إلا ما علمهم الله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾، والعباد لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً وكل ما عندهم من العلم هو فضل الله عليهم ومنه.

* ثم ذكر جلّ وعلا عظمته سبحانه بذكر عظمة أحد مخلوقاته وهو الكرسي العظيم، قال جلّ وعلا: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾؛ وبين هذا المعنى ما ثبت عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أعظم آية في القرآن فقال: «آية الكرسي» ثم قال ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»^(٦). فإذا كانت المخلوقات بهذه العظمة فكيف بخالقها ومبدعها وموجدتها شأنه وتعالى جدّه.

* ثم قال جلّ وعلا: ﴿ وَلَا يُؤْذِيهِ حِفْظُهُمَا ﴾ وهذا من عظمة الله جلّ وعلا وكمال قوته وقدرته؛ أي لا يثقله سبحانه حفظ السماوات والأرض: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

* ثم ختم هذه الحجج بقوله: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ مُبيناً للعباد علوه ذاتاً وقدرًا وقهراً، وعظمته جلّ وعلا وأن العظمة وصفه جلّ وعلا، وهي عظمة في الأسماء، وعظمة في الصفات، وعظمة في الأفعال؛ فتبارك الله العظيم رب الخلق أجمعين، خالقهم من العدم وموجدهم بعد أن لم يكونوا، وهو جلّ وعلا المستحق أن يعبد وحده دون سواه فلا إله إلا الله ولا معبود حق إلا الله.

اللهم وفقنا للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك ﷺ وأعنا على تحقيق هذه المعاني العظيمة والدلالات المباركة التي دلّت عليها أعظم آي القرآن شأنًا - آية الكرسي -.

(٦): رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٦٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/٦٤٨-٦٤٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٣٠٠-٣٠١) وغيرهم وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٩)

فضائل الكرسي

وما دلت عليه من التوحيد



إِعْدَادُ
عَبْدِ الرَّاقِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرِيِّ

دار المجتهد